الرسالة الحضارية للقنوات الفضائية الإسلامية

THE CULTURAL MESSAGE OF ISLAMIC SATELLITE CHANNELS

قـــانة حسينة[1]

[1]جامعة الجزائر3 (الجزائر)،hassinagn@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/11/16 تاريخ القبول:2019/11/19 تاريخ النشر: مارس/2020

الملخص

يهدف هذا المقال إلى رصد أهمية الإعلام الإسلامي في توضيح مفاهيم الإسلام والدعوة إلى مبادئه السمحة، وقيمه الأصلية النافعة، بطريقة علمية وعملية، لتكون هذه القيم منهج حياة يعيشه المسلم على مدار ساعات عمره. ومن هنا تظهر أهمية القنوات الفضائية الإسلامية التي بدأت تملأ الساحة الإعلامية حاليا وهي تعد من أبرز المؤسسات التي انطلقت من المبادئ الإسلامية وتراعي في تشكيل بنيتها ومختلف فعالياتها روح الإسلام ومعاييره وأولت في برامجها عناية فائقة بقضية الأخلاق و القيم، إلا أن الأمر في الوقت الراهن وأمام المتغيرات المتجددة والتحديات العالمية في هذا المجال تحيلها إلى التفكير في تدابير أكثر فاعلية وتفعيل لبعض الأساليب والآليات الموجودة فعلاً من أجل أن يتحقق الأمن الأخلاقي المجتمعي.

وقد تطرقنا إلى مشاكل الإعلام الإسلامي الفضائي و مستواه المحلي، وكذا مشكلة مواجهة القيم المستهجنة ومدى نجاعة الرسالة الإعلامية الإسلامية المعاصرة في التصدي للإعلام الوافد وذلك بمحاولة الكشف عن واقع الإعلام الفضائي الإسلامي، ومعرفة كيفية النهوض بمستوى الخطاب الإعلامي الإسلامي، وكذا مواجهة البث الفضائي الوافد.

الكلمات المفتاحية:القنوات الفضائية؛ الإعلام الإسلامي ؛الدعوة؛ الإعلام الوافد؛ القيم.

Abstract

This article aims to control the importance of Islamic media in clarifying the concepts of Islam and to face the fact that its tolerant principles and original values are useful, scientifically and practically, Therefore, the importance of satellite channels is one of the most prominent institutions based on Islamic principles and to take into account the spirit of Islam and its norms, in the definition of the structure and various activities. We have dealt with the problems of local Islamic media and its local level, as well as the problem of confronting abhorrent values,By trying to reveal the reality of the Islamic space media, and know how to improve the level of Islamic media discourse, as well as the face of incoming satellite broadcasting.

Key words: Satellite channels; Islamic media; advocacy; foreign media; values.

المؤلف المرسل: :قانة حسينة ، الإيميل المهني: hassinagn@gmail.com

مقدمة

يتسم الدين الإسلامي بخاصية التحول، فرسالة الإسلام لكل الأزمنة ولكل الأمكنة ولكل الأمم وهي رسالة تخاطب الإنسان في مختلف جوانبه ومراحله ووفقا لهذه السمة فان المجال المفتوح أمام وسائل الإعلام الإسلامي والدين المتخصص لتناول مختلف الموضوعات والقضايا في شتي مجالات الحياة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو علمية.. و تتناول كل ما يتعلق بالإنسان من قيم وأحكام كما تعرض هذه الوسائل لما يستجد من أحداث وقضايا في المجتمع لتبين أسلوب معالجتها من المنظور الإسلامي. هذا فضلا عن الجوانب الاعتقادية والتعبدية ومختلف ألوان المعاملات داخل المجتمع. ومن السمات الهامة أيضا لمضمون الدين الإسلامي أنه عالمي التوجه.. فهو دعوة عالمية لا تصطدم بالحواجز الإقليمية أو القومية أو الدولية ، وفي هذا الإطار فان مجال التغطية الجغرافية لوسائل الإعلام الديني لا يجب أن يقتصر على المجتمع الذي تصدر فيه وإنما تتناول أهم قضايا المسلمين في العالم بل أن عالمية رسالة الإسلام تقتضي أن تعرض وسائل الإعلام الإسلامي التطور الإسلامي لعلاج القضايا ذات الطبيعة العالمية والتي تؤثر في البشرية كلها مثل قضايا العولمة ، الإرهاب صراع الحضارات لتثبت دائما للعالم إننا جزء من مليارات البشر الذين يعيشون في هذا العالم وأن من حق الإسلام علينا ومن حق اشتراكنا في هذا الكوكب أن نتبادل وجهات النظر وأن نقدم له خير ما لدينا وهو ديننا لا يفرضه عليه وإنما بتقديم وجهة نظرنا في المشكلات المتباينة من منظور إسلامي فهذا أفضل عرض مقنع للإسلام عندما نكون أمام (آخر) مختلف دينيا وثقافيا عن عالمنا الإسلامي وانطلاقا من هذه السمة تقوم وسائل الإعلام الديني بالعمل على تحقيق التعارف والتآلف والتضامن بين المسلمين.. بما لا يلغي أو يجمد النقد الإيجابي فيما بين المسلمين ويحقق التعارف بين المسلمين وغيرهم) وذلك من خلال التعريف بأحوال المسلمين في مختلف أنحاء العالم سواء كانوا في دول إسلامية مستقلة أو أقليات مسلمة في دول أخرى وتسليط الضوء على أهم مشكلاتهم، والتحديات التي تواجههم واقتراح الوسائل المناسبة لمساعدتهم.

وتتزايد أهمية هذا الدور في ضوء التقصير الواضح من جانب وسائل الإعلام الإسلامي أو الإعلام الديني المتخصص تجاه قضايا الشعوب والأقليات الإسلامية مما أوجد فجوة معرفية بين الشعوب الإسلامية.

فالمضمون الديني إذا ما اعد إعدادا جيدا وانطلق من خلال استرتيجية محددة ومنظمة يمكن أن يسهم في تنمية الوعي الديني لدى الجماهير، ويبصرها بشؤون دينها وثقافتها الإسلامية، كما يعمل على العرض المتوازن لمختلف القضايا والمشكلات التي يعانيها العالم الإسلامي، وإبراز الرؤية الإسلامية لها.

سنحاول في هذا المقال أن نشير إلى ما يجب أن يكون عليه الإعلام الديني عبر وسائل الإعلام، بحيث لابد أن ينطلق من موضوعات وقضايا من المنظور الإسلامي للإنسان والكون والحياة و(من النصوص والمصادر الأصلية المعتبرة)، فعملية إنتاج المواد الدينية تحكمها غاية معينة

وتستقي مضامينها من سياق أحادي المصدر والمنهج، يسعى لتحقيق رسالة مفيدة وهو ما يجعل انتقاء هذه المواد مترابط الفكر والتوجه ولا يعني ذلك أن تتحول أجهزة الإعلام إلى أجهزة « كهنوتية » من أجهزة الاتصال، فالقاعدة الثابتة التي تحكم النشاط الإعلامي من المنظور الإسلامي وإن كانت مؤسسة على ثوابت عقائدية لا يجوز التغيير والتبديل فيها إلا أن هذه القاعدة متحركة تقبل التجديد بمن يتلاءم مع مقتضيات العصر.

و من هنا فإن خصائص الإعلام التلفزيوني الفضائي يمكن أن تستثمر بطريقة أفضل، وكما سخرت تلك الخصائص لصناعة إعلام فضائي ترفيهي تسويقي يمكن أن تسخر أيضاً لصناعة إعلام فضائي هادف بعيد عن الابتذال والإسفاف وإثارة الغرائز وتلبية الاهتمامات الدنيا لجمهور المشاهدين. و السؤال المطروح هو:

ما هو واقع الإعلام الإسلامي عبر الفضائيات الإسلامية؟ وكيف السبيل إلى مواجهة القيم المستهجنة المنقولة عبر الإعلام الوافد؟

أولا: واقع الإعلام الفضائي الإسلامي

قبل أن نتعرض لواقع الإعلام الإسلامي لا باس في البداية أن نستعرض فيما يلي واقع الحال للإعلام في الوطن العربي بشكل عاموأهم ما يتميز به هذا الواقع:

1 - تقديس الأشخاص والذوات مما يرسخ النفاق والكذب في المجتمع، والمبالغة في المدح المذموم شرعاً وأن يكون التقديس والتعظيم لله تعالى وحده.

2 - إعطاء تصور زائف وغير صحيح في فهم حقيقة الدين وإحكامه الشاملة عن طريق التعامل الانتقائي مع الإحكام الإسلامية، بحصر الخطاب الإعلامي فيما يتعلق بالدين في جوانب العبادات والسلوكيات الفردية دون الأحكام التي تعالج قضايا الأمة والمجتمع، ودون ربط كافة أعمال الحياة بالتصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية وكليات الدين.

3 - تحجيم المنابر التي جاءت بها الشريعة كخطب الجمع والأعياد ، ووسائل الإعلام والمحاضرات والندوات العامة، وذلك بمنع الخطباء ذوي الوعي الشرعي والعلم بالواقع، وأصحاب النصيحة والرأي الشجاع من تسنم هذه المنابر، ومحاولة حصر هذه المنابر على من لا يحسن القيام بحقها، ولا أداء أمانة الكلمة وواجب البلاغ المبين.

4- يظهر للمتابع لوسائل الإعلام الرسمية : أن المحور الذي تدور عليه البرامج الإعلامية المقدمة، هو تغطية زمن البث بالحشو ببرامج فارغة من المحتوى السليم ، تغيب فيها الأهداف الصحيحة، وتعجز عن تحقيق المقاصد الإعلامية الشرعية، كإصلاح الرأي العام أو بناء الشخصية الإسلامية في الناس، أو كشف الحقائق للأمة وتوعيتها.

5- شل فعالية الوسائل الإعلامية القائمة، وتعطيل القدرات الإبداعية في كل من يتولى خطاب الأمة من خلالها، وذلك بسلسلة من القيود والتعليمات الثقيلة التي تحجر على إبداء الرأي المشروع، أو الصدع بكلمة الحق وتبليغ رسالة الإسلام في القضايا الكبرى للأمة إذا خالفت توجهات أصحاب القرار في هذه المؤسسات . مما أدى إلى أن يكون التمكين في هذه الوسائل ليس مبنياً على الجدارة والقوة والكفاءة في أداء الواجب.

6- الإقلال من البرامج الدينية في وسائل الإعلام، حيث لا تعطي هذه البرامج إلا نسبة قليلة من زمن البث.

7- احتكار كافة وسائل البث الإعلامي من صحافة وإذاعة وتلفزة لأجهزة ومؤسسات عامة أو شبه عامة، ومنع أفراد المجتمع من حقهم الشرعي في إصدار وامتلاك وسائل البث الإعلامي المختلفة.

8- حجب الخبر الصادق في وسائل الإعلام الرسمية، وتبديل الحقائق أو عرضها بطريقة منتقاة مستورة مما افقد الثقة بكل الوسائل الإعلامية. حتّى شاع بين الناس أنه لتكذيب خبر ما فيكفي وصفه بأنه رسمي غير صادر من جهات محايدة تملك قرارها بنفسها. كما أدى إلى اتجاه الناس لوسائل الإعلام المعادية في الدول الكافرة للحصول على الأخبار والحقائق التي يرغبون في معرفتها والاطلاع عليها.

9-التركيز المستمر في البرامج الإعلامية، على استمراء القيم والأخلاقيات والعادات الغربية الباطلة المخالفة للشرع ، وتقديمها باعتبارها نموذجاً يحتذي به والإشادة برموز وقيادات ونجوم هذه المجتمعات، واعتبارهم قدوات ومثل عليا، مما يؤدي إلى كسر الحاجز الاعتقادي بين هذه الأمة وبين الكفر والنفاق والشرك وأهله.

10- إبراز الشرائح الاجتماعية ذات الدور الهامشي في المجتمع والحياة حيث يحتل الرياضيون والفنانون، والمغنون واشتباههم الذين جعلوا اللهو هما مركزياً لهم يحتل هؤلاء مساحات واسعة في كل وسائل الإعلام المحلي، ويتناول الحديث عنهم كافة أعمالهم ونشاطاتهم بما في ذلك أدق التفاصيل عن حياتهم اليومية، وأنشطتهم الاجتملعية، حتّى تمكن هؤلاء من أذهان الشباب ، وصار حلم الشاب في المستقبل أن يكون رياضياً أو فناناً ، بينما تغيب عن هذه الوسائل شرائح أكثر أهمية وأعظم دوراً كالعلماء والمفكرين والدعاة والمصلحين .

11- إعطاء البرامج الترفيهية، وموضوعات اللهو والعبث الغالبية العظمى من أوقات البث" مع كثرة طائرة من البرامج التي تفسد السلوك والعقاد والأخلاقيات، أو تعد في أحسن الأحوال تافهة مضيعة للوقت والمال والجهد وتصنع الاهتمامات الهامشية والزائفة.

12- التضييق الشديد على المؤسسات الإعلامية والتسجيلات الإسلامية بمنع إصدار التصاريح أو تحويلها، والرقابة المتشددة عليها.. في الوقت الذي يسمح فيه لكثير من مجالات التبرج والسفور بدخول البلاد وتسهيل فتح وانتشار محلات التسجيل والفيديو الهابطة والمنافية للقيم الإسلامية والتي تحبذ الفحش والرذيلة ونزع الحياء عن المرأة والأسرة المسلمة.

13- الإكثار من برامج الأطفال التي تعتمد على التصديق بالمستحيل والسحر والأساطير والتمرد الأمر الذي من شأنه أن يزرع قيما خطيرة في نفوس الأطفال في سن مبكرة مما يكون له اكبرالأثر في تنشئتهم.

14- قصور وسائل الإعلام المحلية عن مخاطبة المسلمين في العالم وإيصال الصوت الإسلامي لكل مكلن وخصوصاً المناطق الشديدة الاحتياج كالأقليات الإسلامية والجمهوريات الإسلامية حديثة الاستقلال.

15- الاعتماد الكلي في المادة الإعلامية المقدمة على إصدارات أعداء الأمة ووكالات أنبائهم وتحليلاتهم وغياب الرقابة والمراجعة والتدقيق لهذه البرامج.

وبالموازاة مع الكم الهائل من الفضائيات العربية فان التأثير الذي تمارسه في الرأي العام العالمي وتغيير صورة المسلم الصحيحة التي تشوهها الفضائيات العالمية بصورة مستمرة ، لا يزال ضعيفا ، سواء كان ذلك في الأخبار اليومية أو في الأفلام الدرامية أو البرامج المنوعة، ويبدو إن الخطاب الإعلامي لهذه الفضائيات ما زال موجها إلى الداخل أكثر مما هو موجه إلى الخارج ، وبالتالي فهي تأخذ دور القنوات التلفزيونية الأرضية التي تعني بهكذا نوع من الخطابات ، كما أن تحليل المادة المبثوثة منها يكشف عن تداخل الأوراق بين البرامج المخصصة لأبناء البلد الذي تبث منه القناة وأبناء البلد المغتربين في الدول الأخرى ، والآخرين الذين يشكلون الرأي العام العالمي ، والذين يشاهدون القنوات الفضائية بشكل عام.[1]

وعندما نتجاوز المستوى النظري للإعلام وواقعه بشكل عام في الوطن العربي، إلى واقع الإعلام الديني المعاصر في البلدان الإسلامية، فإننا نجد أنفسنا أمام ما يسمى بمشكلة الإعلام الديني. وأول ملامح المشكلة هو الضعف، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون، برغم الاستثناءات التي نجدها هنا أو هناك؛ هذا الضعف الذي نجده على المستوى المحلي، أي الوطني، ثم على المستوى العالمي أي الدولي، هو انعكاس لظروف التخلف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية في واقعها الإقليمي باعتبارها كيانات متفرقة ، وما تعيشه الحركة الإسلامية في جملتها من عدم التنسيق أو التعاون أو التكاليف أو الفاعلية، وهذا هو التحدي الحضاري المعاصر، وهذا هو العمل الرائع الذي تؤديه الصحوة الإسلامية المعاصرة في محاولة إيقاظ المجتمعات الإسلامية حتى تنتقل من التخلف إلى التقدم.[2]

ويعكس الواقع المتخلف للمجتمعات الإسلامية المعاصرة صورته في مرآة الإعلام. وهذا الواقع المتخلف هو ذاته واقع الإعلام.إن الإعلام يستطيع أن يؤدي دوراً فعالاً في التقدم ولكن ذلك جزء من صحوة الناس وتقبلهم - أي استعدادهم- لأن ينفضوا عن أنفسهم وأرواحهم وعقولهم رمال التخلف . ومن ثم يواجه الإعلام الإسلامي العام هموم العالم الثالث برّمتها ، ويواجه الإعلام الديني المتخصص هذه الهموم بالإضافة إلى همومه الخاصة.

وعندما ننتقل من مشكلة الإعلام الإسلامي محلياً إلى مشكلات الإعلام الإسلامي عالمياً ، فإن قضية انتماء هذا الإعلام إلى العالم الثالث أول ما يواجهنا. ومن ثم تصبح مشاكل الإعلام في العالم الثالث في المستوى الدولي، هي مشاكل الإعلام الإسلامي. يضاف إلى ذلك الصراع الحضاري في عالمنا المعاصر. وهنا يلح سؤال جدير بالعناية هو : ماذا يواجه الإعلام الإسلامي على الساحة الدولية ؟ إن الإعلام الإسلامي يواجه ما يلي:

أولاً : الإعلام الإمبريالي الاستعماري والصهيوني وهو العدو التقليدي للإعلام الإسلامي وهو الأشد تأثيراً ونفوذاً وبحكم الاستعمار الثقافي.

ثانياً : الإعلام الشيوعي بسبب الخلاف العقيدي الشديد والوضوح.

ثالثاً : الإعلام الوثني أو المختل عقيدياً مثل البوذي والهندوكي وغير ذلك.

رابعاً : إعلام حركات التحريف والتشويه وبث الفرقة من داخل المعسكر الإسلامي.

هذا ما يواجهه الإعلام الإسلامي على الساحة الدولية، إلى جانب ظروف التخلف والتقهقر الحضاري.

ولقد قامت عدة منظمات إسلامية تشتغل بالإعلام، لمواجهة التحدي الحضاري المعاصر يمكن حصر أهم مشاكل منظمات الإعلام الإسلامي فيما يلي:

أولاً : عدم التنسيق فيما بينها، وغيبة الخطة الشاملة والخطط التفصيلية في مختلف المجالات وبمختلف الوسائل.

ثانياً : عدم التمويل، وهذه الظاهرة تمثل كارثة في الوعي، فكثيراً ما توصي المؤتمرات بلزوم أداء الحكومات لأنصبتها في المنظمات دون جدوى.

ثالثاً : نقص الاستفادة من المهاجرين المسلمين وإفادتهم في هذا المجال

رابعاً : غياب البعد عن الأغراض السياسية للحكومات وأهوائها، ولا يتم اختيار مواقع الإعلام بعيداً عن الخلافات السياسيةوالمذهبية وبعيداً عن الأهواء و الانحيازات.

خامساً : نقص إعداد (كوادر) أي (إطارات) بشرية بصفة مستمرة. وهذا بطبيعة الحال من أوليات العمل الإعلامي على النطاق الدولي، ولاشك أن العالم الإسلامي يمتلك من الخبرات والقدرات ما يكفي لذلك، إذا أحسن الاختيار، ووضعت الشروط الموضوعية له ولكن لا بد أن يكون إعداد (الكوادر) أو (الإطارات) بصفة مستمرة.

وعلى الصعيد الثقافي هناك جملة من الحقائق بهذا الصدد منها، أن الغرب ينظم عمليات الاتصال الثقافي الواسع ويسيطر عليها والمجتمع العربي، شأنه شأن الكثير من بلدان العالم الثالث، هو مستقبل لذلك الاتصال، وهو على الرغم مشاركته في هذه الحركة الدولية، إلا انه لم يستطع الوصول بمستوى عطائه إلى لفت نظر العالم في مجال الإبداع. [3]

ونعرض فيما يلي أبرز العوامل التي تيسر للاتصال الثقافي الغربي إحداث تأثيرات على المجتمع العربي المسلم:[4]

1- ضعف التخطيط العربي للمستقبل: تكاد تخلو خريطة المستقبل العربي تخلو من التخطيط الخلاق، وكثيرا ما تتضح صور يبدو فيها الاستسلام أمام المستقبل والتراخي أمام تياراته القوية، ومن جانب أخر فان الصور التي يرسمها الغرب للمستقبل العربي تبدو أمام الكثيرين من العرب ذات جاذبية.

2-التأثير في اتجاه واحد: هناك تدفق غير متوازن بين الغرب والشرق، إذ يتجه الاتصال من الغرب من دون أن يوازيه تدفق من الطرف الأخر. وعلى هذا فالوطن العربي في جهة الاستقبال الاتصالي من دون أن يستطيع التوجه إلى الطرف الغربي.

3- القيود على الحرية: إن النهضة الثقافية التي توفرت للغرب لم يكن لها أن تتحقق لولا سعة الفكر التي أتيحت له.

وعلى الصعيد العربي، يلاحظ أن التاريخ قد ارتبط إلى حد كبير بالتسلط وغياب الحرية. ويعد غياب الحرية أو قصورها، مبعثا على مزيد من التعرض لوسائل الاتصال الثقافي الأجنبي، وفي مقدمتها الوسائل الغربية، مما يعطيها المجال لإحداث تأثيرات أوسع في ثقافة المجتمع العربي المسلم.

4- قلة الإبداع العربي: يتضح أن قلة الإبداع العربي على مستويات النمو عموما، والنتاجات العلمية والفنية والأدبية لا ترقى إلى مستوى إثارة اهتمام العالم، لذا فان النتاج الفكري تسع من الغرب إلى العرب. وتبدو الثقافة العربية في بعض الجوانب محاكية للثقافة الغربية.ومن جانب آخر، فإن قطاعا واسعا من المجتمع العربي يجد في الطروحات الفكرية العربية تكرارا أو تهربا من مواجهة مستقبل جديد، لذا يتجه هذا القطاع إلى تلقف بعض جوانب الاتصال الثقافي الغربي.

5- أحادية النظرة في بعض التوجهات الفكرية: تبلورت العديد من الطروحات الفكرية في الوطن العربي، ويبدو من أغلب هذه الطروحات، ومن بعض أوجه السلوك السياسي ان هناك قدرا واضحا من الأنانية، حيث ترى أغلب الاتجاهات في نفسها وحدها سلامة التوجه، مما يجعل النظرة الحادية واضحة في أغلب الاتجاهات القائمة.

6- للاتصال الثقافي الغربي قوته وجاذبيته وجدته، عبر وسائل الاتصال الثقافي، مما يدفع إلى الحرص على التعرض لهذه الوسائل، فضلا عن أن الاتصال الثقافي الغربي يبرز مسحة إنسانية في مجمل توجهاته الفكرية كالحرية وحقوق الإنسان وغيرها من التوجهات القيمية التي يرى فيها الإنسان العربي ما يتناغم مع تطلعاته ومشاعره، مما يزيد من حرصه على التعرض للاتصال الثقافي الأجنبي.

7- ضعف الإعلام العربي: تشير الكثير من الدراسات والملاحظات إلى تعرض نسبة عالية من الجمهور العربي للإذاعات والقنوات التلفزيونية الأجنبية، ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة من بينها ضعف مستوى ثقة المواطن العربي بوسائل الإعلام العربية لا يزال موضع تدارس، وهذا يزيد من التعرض للاتصال الثقافي الغربي.

ثانيا: النهوض بمستوى الخطاب الإعلاميالإسلامي

إن المسؤولية المناطة بالفضائيات الإسلامية لترشيد الخطاب الإسلامي متشعبة الجوانب ، ويمكن تناول تلك المسؤولية من خلال أداء الفضائيات للمهام التالية. [5]

أولا: المهمة البنائية: التي تتمثل في المساهمة في البناء الفكري السليم لعقول أبناء الصحوة الإسلامية وذلك من خلال :

- إشاعة العلم الشرعي والفقه الديني المتين

- بلورة التصورات الفكرية الصحيحة في مختلف جوانب الحياة والتي تستند إلى الكتاب والسنة والتراث الموثوق للسلف الصالح .

- تأصيل المفاهيم والمصطلحات الدينية وتحديد مراميها ومغازيها بدقة ووضوح حتى لا تزل الأقدام وتختلط الرؤى .

- تصحيح التصورات والمفاهيم الخاطئة التي راجت بين الملتزمين واتسمت بالغلو أو المجافاة لوسطية المنهج الإسلامي وتعديل المواقف والسلوكيات التي أثمرتها تلك التصورات والمفاهيم.

ثانيا: المهمة التوعوية وهي التي تهدف إلى التثقيف العام والتوعية بقضايا الأمة ومشكلات الواقع وأحوال المسلمين في كل مكان، ويمكن أداء هذه المهمة بإتباع الخطوات التالية:

- التعرف على الواقع الإسلامي والدولي المعاصر كما هو ، ونفله الى المشاهد كما هو دون مبالغة أو تضخيم ودون تعتيم أو محاولة التزييف.

- التثبت في نقل الأخبار وتمحيص مصادر المعلومات حتى لا يؤدي المعلومات المغلوطة إلى تبني مواقف خاطئة وإصدار أحكام لا تستند إلى الحقائق والوقائع الصحيحة.

- إتباع منهج التوازن والتكامل في الاهتمام بالقضايا والمشكلات وفي عرضها ومعالجتها.

ثالثا: المهمة الحوارية التي تنبع من توفير قنوات حقيقية وحرة لتبادل الآراء وتداول الأفكار بعيدا عن التحجر الفكري والانغلاق والخوف الوهمي من النتائج السلبية للحوار الفكري. لقد أصبح الانفتاح وفتح قنوات الحوار بين أبناء المجتمعات الإسلامية – على المستويات الفردية والاجتماعية – ضرورة لازمة حتى نقي مجتمعاتنا من الكثير من السلبيات الخطيرة للخلافات والتشرذم والصراعات . وكل ذلك ثمرة طبيعية لغياب الحوار الحر وإغلاق أبواب الاجتهاد والتحجر على الأفكار .

ومن متطلبات الخطاب الإسلامي ما يلي: [6]

- لا شك أنّ الإعلامي المسلم الصادق لا يفتقر إلى الجانب الإسلامي في قوة الطرح لقضاياه حيث إنه يعتمد على قوى يستمدها من السماء، ويتميز بسمات واضحة:

1-إعلام صادر وفق هدي عن خالق عالم بالنفس الإنسانية وطبيعتها قادر على كشف ما خفي وما ظهر من علم بالغيب في الحاضر والمستقبل.

2-إعلام يتلاءم ويتماشى مع الحياة العصرية ومستحدثاتها المتقدمة وفق ضوابط أصولية تحرص على الإيجابيات وتبتعد عن السلبيات وتخضع لمقاييس ثابتة وأصول واضحة في الوقت الذي يرفض فيه لتخلف والانحطاط والرذائل.

3- فكر يربط تعمير الأرض ونمو المجتمع وازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتعمير القلوب وطهارة النفوس ونقاء الوسائل بل ويعتبر التقصير فيما تتطلبه الحياة البشرية والمجتمعات الإنسانية من نماء وعمارة يعتبر تخلفاً وإثماً يستحق عقاب الله، فالعمل عبادة وتقرُّب إلى الخالق سبحانه بمثل هذه العناصر الأساسية ينطلق حامل الرسالة الإعلامية ليخاطب المجتمع الغربي في حالته التي يشعر فيها أنه قد تحضر وتمدن وأنّ الدين تخلف ورجعية ليعلن أنّ الإسلام هو دين يعرض بقوة فكرة تعمير الأرض والانتقال من مرحلة التخلف ولا يرفض أقصى مراحل التقدم دون أنْ يتجاهل الرابط القوي بين السماء والأرض وبين الخالق والمخلوق.

بهذه المنطلقات يمكن للخطاب الإسلامي أنْ يخرج للعالم بوضوح وقوة تحقق التفاف الجمهور المستهدف وتوجد رأياً عاماً جديداً تقنعه الفكرة ويعجبه السلوك العملي.

إنّ على الإعلامي المسلم صاحب الرسالة الإسلامية أنْ يدرك أنّ العالم اليوم لا يعيش أزمة مال ولا رجال، ولكنه يعيش أزمة قيم ومفاهيم رسالية هادفة تحملها أفكار سليمة من عقائد لها قدرة نقل الإنسان إلى شاطئ الأمان بعد أنْ دمرت الحضارة الحديثة معاني الأمن والأمان في نفوس الأفراد والأمم وفي هذا الإطاردعت الدكتورة (عبلة الكحلاوي) الأستاذ بجامعة الأزهر إلى توحيد الجهود لتقديم الخطاب الديني الإعلامي في أفضل حال، والخروج به إلى العالمية، وملاحظة الفروق الجوهرية بين ما هو مشترك إنساني وما هو خصوصية حضارية. وذكرت أن الخطاب الديني الإعلامي هو خطاب مؤسس على مبادئ وقيم من الحق والصدق، ولابد أن يراعي الخلفية الثقافية والعقدية والاجتماعية للمتلقين، مشيرة إلى أنه في الوقت الذي اقتصرت فيه بعض القنوات على الدفاع عن الإسلام والرد على المستشرقين، والتحفظ في إظهار الهوية الإيمانية؛ إلا أن تلك الأحداث الأخيرة أيقظت الجهاز المناعي في الأمة، وظهر خطاب إعلامي يكاد يكون واضحاً رغم استبقاء البعض على المنهج الآخر التقليدي، واستخدام مفردات تراثية. و طالبت بتغيير نمطية الخطابي الديني في بعض الفضائيات بوجود برامج اجتماعية وجماهيرية داعية إلى العمل التخصصي والنوعي واستيعاب الجمهور، مع مراعاة تنوع ثقافاتهم وتجنب السلبية والارتجالية والحماس والامتزاج بهموم الأمة. وشددت على ضرورة أن تختزل أصول الشريعة والعقيدة في الخطاب الديني الإعلامي وتقديم الوجه الحقيقي للإسلام، وأن تتوحد الجهود العربية والإسلامية لتقديم الخطاب الديني الإعلامي في أفضل صورة، وإعداد منظومة متشابكة من الآليات تبدأ بإنشاء مركز إسلامي عالمي تتعد فروعه في الدول الغربية.

وتناولت شروط القائم بالخطاب الديني في أن يكون على علم ودراية بأحوال عصره وقضايا أمته، والاهتمام بالعلوم السياسة والإنسانية والإعلامية، فضلاً عن درايته بالفقه وأصول استنباط الأحكام والموازنة بين الثابت والمتغير، والخروج بهذا الخطاب إلى العالمية .[7]

ومن جانبه تناول نسيم أبو خضير - رئيس القسم الديني بالإذاعة والتليفزيون في الأردن الخطابَ الإسلامي- مؤكداً أنه يعني مخاطبة الناس ودعوتهم وتقديم الإسلام بصورة صحيحة. و يقول: إن الخطاب الإسلامي يختلف عن غيره، فهو يحترم الديانات السماوية ويقوم على الحكمة ومخاطبة الناس بما يفهمونه وما تقبله عقولهم وليس بما يعجزون عن فهمه وإدراكه. و دعا إلى ضرورة وجود خطاب عام وخاص في الوقت نفسه نتيجة لتنوع جمهور المتلقين للخطاب الإسلامي مع مراعاة خصائصه في أن يقوم على الشفقة والرحمة واللين ووزن الأمور بالميزان الصحيح وأخذ الناس بالتدرج باعتبار ذلك سنة شرعية. و شدد على أهمية أن يتوافر في صاحب الخطاب الإسلامي عالما بالحكم الشرعي وأن يكون توجه الخطاب الإسلامي إلى غير المسلمين بطريقة تتوفر فيها الحكمة والموعظة الحسنة وحسن اختيار الموضوع وبالأسلوب المؤثر والمنهج الوسطي.[8]

ثالثا: مواجهة البث الفضائي الوافد

يمثل البث الفضائي الوافد عبر الأقمار الصناعية ظاهرة موضوعية تعكس الخلل القائم في موازين القوى على الصعيد الكوني في المجالات كافة، ويجسد هذا الخلل في المجال الثقافي[9].

والبرامج الأجنبية الوافدة عبر الأقمار الصناعية هي النتيجة الحتمية لتطور تكنولوجيا الاتصال وهو تطور لا يقف عند حدود دولة أو دول بعينها، فشؤون الاتصال الآن تمتد إلى الكرة الأرضية كلها وتأثر في شعوب العالم [10]

والحقيقة أن الأمة العربية تعرضت ولا تزال لحملات مخططة ومدروسة لتشويه معالمها الرئيسية ومسح هويتها الحضارية، وهدف لحملات التيارات المعادية التي تنطوي على مجموعة القيم والسلوكيات التي تتناقض مع الهوية الثقافية العربية، وفي محاولة لتحطيم الشخصية العربية وتفكيك وتسفيه قيمها وتقاليدها وإظهارها بشكل عاجز وسلبي،ويأتي في المقدمة ذلك الغزو الثقافي باستخدام البث التلفزيوني المباشر حيث توفرت للغرب القدرة على اختراق الحدود الإقليمية وجدران المنازل.[11]

ويأتي هذا البث التلفزيوني الأجنبي في السياق العام للعولمة الهادفة إلى التسليع والتنميط والتي هي الحلقة الأقوى في النظام العالمي الجديد الذي يعيش عرس انتصار الرأسمالية الاستراتيجي وذروة التمركز الرأسمالي .[12]

والبث المباشر للقنوات التلفزيونية الوافدة ممثل ابتداءً من البرامج الموجهة إلىالإعلام والى الإعلانات التي تنقل القيم الغربية بما تحمله من تضليل وخداع بهدف تسويق السلع وسلب إرادة المواطن، وقد نجحت القنوات الفضائية الوافدة في نشر الأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان المتقدمة على نطاق

واسع بحيث غدت مألوفة وتحظى بإعجاب الكثيرين مما حدا بجمع من الناس إلى تقليدها كمعيار للسلوك البشري في تلك البلدان بعيدا عن الأخذ بثقافته الوطنية أو قيمه أو مصالحه بعين الاعتبار[13]

فهذه القنوات تسعى إلى تقويض أسس النظام القيمي ومرتكزات التوازن الثقافي والذهني والنفسي والخيالي التي تعود عليها المجتمع العربي المسلم ،كما تسعىإلى تفتيت التوازنات التقليدية التي تشكل العصب الحساس بالنسبة للمجتمع العربي مثل: قدسية الأسرة وترابط الأجيال وتكاملها، والتقسيم التقليدي للعمل والتضامن الاجتماعي ومركزية المقدس الديني والطقوسي.

وقد ترتب على الفضائيات الأجنبية الوافدة التي تنقل واقعا غربيا اجتماعيا واقتصاديا متقدما آثارا سلبية على الأسرة العربية، أسفرت عن تخلخل منظومة القيم الأسرية حيث توازن معظم القيم الأخلاقية وبرزت أهمية الاعتبارات المادية على حساب القيم العاطفية والنفسية والتضامنية، وبالذات لدى الأجيال الجديدة من الشباب[14]

ومن أساليب ووسائل الإعلام المعادية في الكيد للإسلام أسلوب إشاعة الفاحشة، ولعل نظرة عابرة إلى ما تزخر به الصحافة والسينما والتلفزة والأغاني والمسرحيات من طغيان موجة الإباحية الداعرة التي تفنن اليهود بشكل خاص في نفث قذارتها ، كافية لتظهر إلىأي مدى تستغل وسائل الإعلام المعادية أسلوب إشاعة الفاحشة لا ضد الإسلام وحده وإنما ضد كل القيم الدينية الأخرى، وضد كل مقومات الأخلاق الإنسانية.

ويبرز استغلال الفاحشة في الكيد للإسلام والمسلمين في عشرات وربما في مئات الأفلام الداعرة الماجنة التي يسربها اليهود إلى المجتمعات الإسلامية لتكون معولا لهدم الأمة الإسلامية وخاصة شبابها بتقويض مقوماته الخلقية والروحية [15]

السبيلإلى مواجهة البث الفضائي الوافد

إن الإشكاليات التي تنجم عن الاختراقات التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربية والأمريكية - والإسرائيلية المملوكة لهذه الجهات رسميا أوتلك التي تعمل لتحقيق أهدافها بشكل غيرمباشر تتطلب جهودكبيرة رسمية وعلمية وتوجب توفر الإمكانيات التقنية والبشرية المؤهلة والمدربة واعتماد موارد مالية قادرة على تحويل الخطط والبرامج إلى واقع ملموس ويضاف إلى ذلك توفير أرضية من المعلومات والدراسات لاسيما الخاصة بالجمهور المتلقي من حيث خصائصه وتوجهاته ورغباته.[16]

إن الانطلاقة الأولى السليمة للمواجهة هو قيام إعلام إسلامي قوي ،سيما الفضائي لأنه الأكثر أهمية في هذه المرحلة، وعليه يجب أن يكون هناك تخطيط استراتيجي ومتوسط وقصير لما يجب أن تقدمه القنوات الفضائية الإسلامية من برامج تترك آثارها واضحة ليس في استقطاب الجمهور العربي حسب بل كذلك في التأثير فيها بما يتلاءم مع الأهداف النبيلة والسامية التي يتم بثها من خلال هذه

القنـــوات وأن تكـون البـرامج علـى مستـــوى رفيـع شـكلا ومضمـونـــا وتسـتجيب لحـاجـــات ورغبـــات الجمهور الـعـربي المسلم.

فعلـى مستوى تطـوير أداء الفضـائيات الإسـلامية فإنـه ينبغـي وضـع خطـط واسـتراتيجيات لمواكبـة التكنولوجيا المتطورة ذلك أن اقتناع المسلمين اليوم بأهمية دينهم وحاجة العالم إليه يعد أساسا سليما ونقطة انطلاق إلىإيجاد نظام قوي للإعلامالإسلامي الذي يحمل خصائص الدعوة العالمية ، لذا أصبح لزاما اليوم وضع خطط إعلامية مدروسة منها:

- انتهـاج القنوات الفضـائية الإسـلامية سياسـات إعلاميـة تتناسـب مـع قدراتها علـى الإنتـاج البرامجـي الـذي يـتم التخطـيط لـه علـى أسـس سـليمة سـواء علـى المـدى القصـير أو المتوسـط أو البعيـد، وذلـك بـالتوظيف الأمثل للإمكانيـــات البشـرية والمـاديـــة الموجـودة والتـي يمكـن وجودهـا، مـن أجـل تحقيـق أهـداف تواكـب التطـــورات المذهلـة فـي أجهـزة الإعـلام، وحتـى يمكـن تحقيـق التفـاعل الخـلاق بـين المجتمعـــات العربيـة وباقي الشعوب، وتـعـريـفـهـم بثـقـافـة المجتمعـات العربيـة فـي كل جوانبهـــا ويجب أن يشـارك فـي وضـع هذه السياسات المعنيون جميعا.[17]

- إن تطـوير مضـامين البـرامج المبثوثـة مـن خـلال القنـوات الفضـائية الإسـلامية يسـتلزم بالضـرورة وجـود كوادر بشرية علمية مدربة بشكل كفء وعالي ومهيأة للقيام بواجباتها المتطورة بشكل جيد[18]

- إيجـاد رابطـة القنـوات الفضـائية الإسـلامية يكـون مـن خـلالهـا التفـاهم والتعـاون وتبـادل البـرامج والخبـرات وإقامـة دورات تدريبيـة تأهيليـة فـي كافـة التخصصـات، ليكـون البنـاء التكـاملي والأفقي لخدمـة ديننـا الحنيـف ومجتمعنا الإسلامي الرصين.

- تسـخير خبـرات وكفـاءات وأبحـاث كليـات الشـريعة والدراسـات الإسـلامية بالجامعـات لكافـة القنـوات الفضائية الإسلامية ووضـع آليات التعاون بين هذه الكليات وبين الفضائيات الإسلامية.

-إرساء إعلام إسلامي يتميز بالكفاءة العلمية والتحكم في المعلومة، يقوم بملاحقة العقول الهندسية التي تبدع كل يوم وسائل إنتاج جديدة، كما يجب أن تكون القدرة الإبداعية لهذا الإعلام أكثر تفوقا لحاجته إلى التعامل مع ضوابط وقيود لا يضطر غيره إلى التعامل معها أو الالتزام بها.[19]

- إيجاد برامج تخاطب غير المسلمين الناطقين بلغات غير عربية وتركز على محاسن الإسلام، وتعرض الجهود الدعوية والخيرية المباركة وتبسط العلوم الشرعية وتبرز الشعائر الإسلامية وتعظمها وتعرف بالتراث الثقافي والحضاري العربي والإسلامي .

- صناعة برامج ترفيهية للأطفال وللشباب ذات أسلوبتشويقي بعيداً عن الرتابة وتنافس القنوات في جذب الأبناء من مختلف الأعمار.

- إيجاد برامج تدرأ المفاسد وتواجهه الأفكار المنحرفة وتنقي المجتمع من الشوائب وتفند الشبهات بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

- كذلك يجب أن تنفتح القنوات الفضائية الإسلامية على مجتمعاتناالعربية المسلمة بشكل فعال وأن تطرح المشاكل والهموم والمبادرات بطريقة مناسبة بعيدا عن أسوار الضغوط التي تفرض على عرض الحقائق والأمور التي تشكل عوائق في حركة المجتمعات العربية الإسلامية.

ولعل أفضل ما يدعم نجاح العمل الإعلامي الإسلامي من خلال هذه القنوات في مواجهة ضغوط الاختراقات الإعلامية الوافدة ،هو تنشيط روح البحث العلمي والدراسات والاستطلاعات بشكل مستمر. [20]

- إن القنوات الإسلامية يمكن أن تقوم بدور كبير في تغيير الصورة النمطية لدى العالم الغربي عن الإسلام والمسلمين .. فالإعلام الآن أصبح أقصر الطرق لتوصيل وجهات النظر

-إن أهم النقاط التي يجب مراعاتها لكي تكون القنوات الإسلامية فعالة وتخرج من حيز الجمود والرتابة التي تعتبر سمة الكثير من البرامج الدينية ، هوضرورة تنويع المادة الإعلامية المقدمة ، فالبرامج الحوارية مثلا ليست القالب الوحيد الذي يفترض أن تعتمد عليه ولابد من تقديم الأعمال الدرامية والمسابقات وغير ذلك للخروج من حيز الجمود.

- مواجهة حالة الضياع التي يعيشها المجتمع المعاصر عامة، ومجتمع المسلمين خاصة بما يعيد التوازن السليم بين فطرة الإنسان ومستحدثات العصر الفكرية منها والمادية.

-تحقيق مواجهة إيجابية فاعلة أمام حملات غير المسلمين ممن يعادونالإسلام إما جهلاً به أو حقداً عليه, وذلك من خلال أجهزة ووسائل متطورة تواكب مطلوبات العصربما يحقق إعلاماً قادراً ومتميزاً يقوم على المنهج العلمي الصحيح.

- تقديم الإسلام ومبادئه وفق أصوله التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام, ونقد ما لصق به من شبهات وافتراءات من خلال برامج تجمع بين قوة الحجة وفن الإقناع والتأثير بجانب الجاذبية وحسن العرض.

خاتمة

إذن تحرص القنوات الفضائية الإسلامية قدر الإمكان، على إنتاج المعرفة العلمية لمعالجة الواقع الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي، انطلاقا من توظيف المنهج المادي، وحرصا على تحقيق التحليل الملموس للواقع الملموس، وصولا إلى نتائج علمية دقيقة، تمكن من معرفة الخطوات المنهجية، والبرنامجية، الموصلة إلى تحقيق مجتمع يتمتع فيه الناس بجميع الحقوق، مهما اختلفوا ومهما كان جنسهم، و لونهم، ومعتقداتهم، وأعراقهم، وبالرغم من ذلك لا يمكن نفي وقوعها في أخطاء متعلقة بالاحترافية المطلوبة في إعداد البرامج الإعلامية الرائدة التي قد تستحوذ على اكبر قدر من المشاهدة والخروج من الصورة النمطية للبرامج الدينية التي قد يكون المتلقي متعودا عليها ولا يتعرض لها إلا في حالات استثنائية متعلقة أحيانا بالظروف والمناسبات.

الهوامش

1. المجلة المصرية للبحوث والإعلام: دوافع استخدام المرأة لقنوات التلفزيون المصرية، العدد 2 /1997.
2. محمد سيد محمد، الإعلام الإسلامي والتحدي الحضاري المعاص، سلسلة كتب الأمة، الرابط الالكتروني: http://www.islamweb.net/ver2/Library/ummah_ShowChapter.php
3. د.هادي نعمان الهيتي، الثقافة العربية أمام تحديات الفضائيات الوافدة، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون (العولمة والهوية،الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية) منشورات فيلادلفيا، 1998،ص315.
4. هادي نعمان الهيتي، ود.خالد حبيب الراوي، الاتصال الثقافي الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، إشكالية العلاقة مع الغرب، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمها المجمع العلمي العراقي،1977.
5. عبد القادر طاش ،، الإعلام الإسلامي في القنوات الفضائية، الطبعة الثانية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع،2004، ص66-86.
6. د. أحمد حسن محمد ،أساليب ومضامين الخطاب الإسلامي،2004/01/29 ،من الموقع الالكتروني: http://www.meshkat.net/new/contents.php?catid=6&artid=7538
7. عمرو محمود ، الخطاب الاسلامي في وسائل الاعلام، 2007-5/07/30 ،من الموقع الالكتروني: http://islamtoday.net/albasheer/show_articles_content.cfm
8. عمرو محمود، الخطاب الاسلامي في وسائل الاعلام، مرجع سبق ذكره.
9. أديب خضور ،دراسات التلفزيون،دمشق ،سلسلة المكتبة الإعلامية، 1997ص53.
10. حمدي قنديل، الاعلام العربي والتكنولوجيا الحديثة للاتصال، الثورة التكنولوجيا ووسائل الاتصال العربية ، ص35.
11. -عبد الرزاق محمد الدليمي ، عولمة التلفزيون، الطبعة الاولى، دار جرير للنشر والتوزيع ،2005، ص69.
12. أديب خضور ،مرجع سابق،ص 35.
13. عبد الرزاق محمد الدلمي ،المرجع السابق ، ص74.
14. عبد الرزاق محمد الدليمي،مرجع سابق ، ص78-79.
15. عبد الله قاسم الوشلي،الاعلام الاسلامي في مواجهة الاعلام المعاصر بوسائله المعاصرة،دار البشير للثقافة والعلوم الاسلامية ، الطبعة الثانية، 1994،ص57
16. عبد الرزاق محمد الدليمي،المرجع السابق ،ص81.
17. محمد معوض ،دور الفضائيات العربية في تحسين صورة العرب والمسلمين ، ص 52.
18. عبد الرزاق محمد الدليمي ،مرجع سبق ذكره،ص81.
19. انشراح الشال، بث وافد على شاشات التلفزيون، ص 215.
20. عبد الرزاق محمد الدليمي ،المرجع السابق،ص81